غرام الكبار

# مي ...
# الأديبة الساحرة

obeikan.com

obeikan.com

هل يمكن لامرأة واحدة أن تسحر كل رموز المرحلة من كبار نجوم الفِكر والسياسة والدين والشعر والمجتمع ؟!

ما هي أسلحتها وما هي مفرداتها ؟!

بإيجازٍ شديد مَنْ هي تلك الساحرة ؟!

***

هي .. مَنْ هي ؟!

ماري الياس زيادة أطلت إلى الدنيا في فبراير ١٨٨٦ المنحدرة من أب لبنانى وأم فلسطينية ، المولودة فى مدينة الناصرة بفلسطين حين رزقت بها السيدة نزهة معمر ، وهي فلسطينة أرثوذكسية من الجليل ، سبقت بنات جيلها وبلدتها الى الوعي والثقافة بالدراسة الخاصة والمطالعة ، وقد حفظت مئات الابيات الشعرية وخاصة شعر «ابن الفارض» وغيره من شعراء التصوف الاسلامي ، وزوجها «الياس زيادة» وهو مدرس ماروني من قضاء كسروان في لبنان ، وحل في مدينة الناصرة واستقر بها ، ورزقا بوحيدتهما «ماري» التي بدأت رحلتها التعليمية وهي صبية في مدارس الراهبات في الناصرة ومن ثم في لبنان ، فهامت في قراءة كل ما تصل اليه يداها وأجادت بضعة لغات اجنبية كالفرنسية والانكليزية والالمانية وكتبت خواطرها ونظمت الشعر بالفرنسية ، وتسلت بأصابع البيانو وأوتار العد وركوب الخيل وهكذا كانت المرحلة الاولى من حياتها بين ربوع لبنان وأزقة الناصرة القديمة وكنائسها ومبانيها الحجرية ولم تتحيز لمارونية والدها ولا ارثوذكسية والدتها بل التزمت بافضل سجاياها السمحة «اللاطائفية».

كانت مى فى الربع الأول من القرن الماضى نجمة الحياة الثقافية والأدبية فى مصر ولم تتخلف أيضا عن القيام بدور اجتماعى يتمثل فى اسهاماتها فى النهضة النسائية

تلقت مى علومها الاولية فى مدرسة للراهبات بعين الطورة فى لبنان وفى تلك المدرسة تعلمت اللغة الفرنسية وأجادتها ثم انتقلت الى مصر مع والديها بحثا عن حياة ورزق أفضل وأصدر والدها فى القاهرة صحيفة المحروسة ، وبدأ اختلاطها بالبيئة الثقافية والفكرية والأدبية مما أسهم فى تفجر ينابيع الموهبة الكامنة داخلها وصدر أول ديوان شعرى لها باللغة الفرنسية يحمل اسم أزاهير حلم ووقعته باسم مستعار هو ايزيس كوبيا ، وفعلت الشئ ذاتة فى مذكراتها حين جعلتها باسم مستعار عائدة وفى هذه المذكرات يبدو تأثرها واضحاً بأسلوب الشاعر الرومانسى الأنجليزى الشهير بيرون .

حطت العائلة رحالها في القاهرة عام ١٩٠٨ وكان ذلك العام عام وفاة الأستاذ «قاسم أمين» والزعيم الوطني «مصطفى كامل» ، إلا أنَّ مصر «المحروسة» بصورة عامة والقاهرة التي لن تقهر خاصة كانتا تموجان بنهضة تحررية للإصلاح الديني والاجتماعي ورفض الهيمنة الأجنبية على شؤون البلاد والعباد فدعاوى «الأفغاني ومحمد عبده» لها صداها وأفكار «قاسم امين» لها أنصارها وتحقيق التراث وترجمة آداب وعلوم الغب لها محترفيها كما فتحت أبواب أول جامعة مصرية أهلية في هذا الوسط استطاع «إلياس زيادة» أن يجد فرصته في التدريس والصحافة أما ابنته فعهد اليها بتعليم بنات ذوي النفوذ والثراء اللغة الفرنسية . ولما سمحت الجامعة المصرية في خلال الحرب العالمية الأولى وبجهود الأستاذ «أحمد لطفي السيد» بانتساب الطالبات إليها سارعت إلى دراسة الأدب والفلسفة وحقق والدها رغبتها في نشر باكورة قصائدها «أزاهير حلم» بالفرنسية وباسم «ايزيس كوبيا» استقبلته الصحافة والقراء بحفاوة وتساءل عن صاحبته فكان كتابها الثاني «ابتسامات ودموع» ترجمته عن الألمانية وأخذت تنشر مقالاتها في جريدة والدها «المحروسة» وبأسماء مستعارة فتارة «عائدة» وأخرى «خالد رأفت» واقترحت عليها أمها أن تقتصر اسمها إلى

«مي» فاخذت تنشر مقالاتها بهذا الاسم وعرفت به «مي زيادة» فكانت تكتب افتتاحية جريدة «الاهرام» وفي صحف اخرى.

وفى عام ١٩١٥ جاءت نقلة مهمة في حياتها أسهمت فى اندماجها فى المجتمع المصرى حيث تعلمت العربية على يد أستاذ الجيل احمد لطفى السيد والشيخ مصطفى عبد الرازق وأتاح لها هذا أن تكتب بلغتها القومية فى صحيفة والدها المحروسة وفى مجلة الزهور التى كان يصدرها مواطنها أنطوان الجميل وانكبت على دراسة لغات اخرى ولم يمر وقت طويل حتى كانت قد أجادت الإنجليزية والألمانية والإيطالية إلى جانب العربية والفرنسية.

تأسس صالون مى زيادة عام ١٩١٣ واستمر لربع قرن من الزمن يضىء القناديل لدنيا الثقافة والفكر الأدب ولم يكن يخضع لمنهج أو برنامج معين بل كان مفتوحا لكل المناقشات وكل المجالات فكرية وأدبية وفنية لتنوع مذاهب ومشارب مرتادية الذين يجئ فى مقدمتهم إسماعيل صبرى وأحمد لطفى السيد وأحمد شوقى وحافظ ابراهيم وخليل مطران وعباس محمود العقاد ومصطفى صادق الرافعى وأحمد زكى ورشيد رضا ومصطفى عبد الرازق وسلامة موسى وشلبى شميل وإسماعيل مظهر وأسماء أخرى عديدة حتى لقد قال العقاد فى وصف أهمية وتأثير صالونها الأدبى « لو جمعت الأحاديث التى دارت في ندوة مي لتألف منها مكتبة مصرية تقابل مكتبة العقد الفريد والأغاني فى الثقافتين الأندلسية والعباسية » .

وإجادة مى لأكثر من لغة أتاحت لها أن تنهل من بحور الثقافة والمعرفة الإنسانية وان ترى فى تعدد الثقافات ثراء للفكر الانسانى فكانت من أوائل الذين دعوا إلى إقامة جسور من الحوار والتفاهم والتبادل بين الثقافات الإنسانية .

كان لديها كما قالت عن نفسها جوع فكرى لايكتفى وعطش روحى لايرتوى

فأغرقت ذاتها فى كتب الأدب والفلسفة والفكر والتاريخ والفن والموسيقى وأسهمت فى الكتابة الصحفية عبر باب ثابت كانت تكتبة باسم مستعار تحت عنوان « يوميات فتاة » يضم خواطر ودراسات أدبية وفلسفية وتأملات فى الأدب والحياة كما أنشأت عام ١٩٢٦ بابا فى صحيفة السياسة الأسبوعية أسمتة «حلية النحل» وكان عبارة عن أسئلة وأجوبة يتناوب قراء الصحيفة طرحها والأجابة عليها وكان دور مى صياغة ذلك بأسلوبها هى.

ولم تنس مى أنوثتها فى سعيها المحموم لطلب العلم والثقافة وإنما وظفت هذا السعى لصالح جانب المرأة فيها إذ كانت ترى المرأة الشرقية مغبونة وأنها أسهمت فى صنع واقعها الذى تشكو منة بسلبيتها وعدم محاولتها الاستفادة من علوم عصرها وفنونة . لهذا كان انخراط مى فى العمل النسائى وعلاقتها برائدة النهضة النسائية العربية هدى شعراوى التى وصفت مى « بأنها كانت تعرف قدر نفسها فى تواضع جميل» واهتمام مى بالمرأة هو ما دفع بها إلى الإعجاب بشدة بالأديبة عائشة التيمورية وإصدار كتاب عنها كما كان دافعها الى محاولة تحليل كتابات الرجال عن المرأة فى كتابها « كلمات وإشارات » لمعرفة كيف ينظر الرجال إلى النساء وكيف يرونهن من زاوية رجالية.

بمثل هذه الروح الطموح الوثابة كانت مى زيادة تواجه عصرها متحدية كل الظروف التى تسهم فى تأخر المرأة واقفة على قدم المساواة مع رجال فطاحل فى زمن اعتادت فية النساء على الاكتفاء بالمقاعد الخلفية والبقاء خلف المشربيات ينظرن من بعيد إلى العالم المحيط بهن وكان فى هذه الجرأة وتلك الثقافة وذاك الذكاء ما شد أعناق الرجال إلى مى فاجتذبت عقولهم قبل افئدتهم إذا رأوا مى فيها نموذجا لم يألفوة من قبل نموذجا يرى فى علاقة الرجل والمراة ندية متساوية وزاد من إعجابهم

بها إنها برغم سفاياتها المتعددة وتنوع ثقافاتها وتحررها الفكرى ظلت متمسكة بشرقيتها لا تبتذل نفسها بل تسلح أنوثتها وذكاءها المتوقد بالخلق والحياء

لا عجب إذن أن يقع معظم رجال الفكر والأدب والسياسة فى هوى امرأة بهذه المواصفات امرأة كان صوتها على حد تعبير عميد الأدب العربى د. طه حسين عذباً لا يكاد يبلغ الأذن حتى يصل إلى القلب فتتهاوى أمامها رجال كبار ينشدون وصلها وهى بذكاء المرأة تردهم عنها بلطف لا يخيب رجاءهم ولا يحققه ووصل التنافس بين الرجال على قلبها إلى حد أن زعم أن معركة «على السفود» الشهيرة بين الأديبين الكبيرين عباس محمود العقاد ومصطفى صادق الرافعى كان سببها تنافس العملاقين على شد انتباة مى فكانت معركتهم الأدبية صدى لصراعهم العاطفى لنيل قلب الأديبة النابهة أما مى نفسها فكان قلبها فيما يبدو معلقاً ببلدياتها الأديب والشاعر المهجرى الكبير جبران خليل جبران وكانت بينهما رسائل مشبوبة بالعاطفة مستعرة بالفكر وفى أحدى الرسائل كتب لها

«حبيبتى مى .. خاطبت الناس جميعاً باسم الحب فقلت لهم : فلتكن هناك فسحات تفصلكم بعضكم عن بعض فى حياتكم المشتركة ولتدعو رياح السماء تتراقص فيما بينكم .. أجل فليحب أحدكم الأخر ولكن لا تقيدوا الحب بالقيود ...بل يكن الحب بحرا متموجا بين شواطئ نفوسكم .. وكذلك الحب الذى يؤلف بين قلبينا .. يا مى يا نسمة روحى وعطر حياتى .. ودنيا أشواقى »

ولكن مى أحست من رسائل جبران أن علاقتها به لن تصل إلى نهايتها الطبيعية ولن تكلل بالزواج فأغلقت قلبها دونه ودون الرجال جميعاً نأت عنهم بالقلب وإن ظلت مرتبطة بهم بالفكر وظلت عزباء إلى أن توفاها الله.

وبرغم ذلك ظل الأمل يداعب قلوب الأدباء فى نيل قلبها وكسب يدها وكتبت

عنه وفيها أشعار لم تكتب لأمرأة قبلها أو بعدها إذ لا يكاد شاعر من معاصريها لم يتغزل فيها ونرى شاعر يبلغ من العمر عتيا مثل اسماعيل صبرى لا يمنعة كبر سنة من أن يكتب متغزلا فيها وملمحا إلى ندواتها كل ثلاثاء :

روحى على دور بعض الحى حائمة كظامى الطير تواقا إلى ماء
إن لم أمتع بمى ناظرى غدا انكرت صبحك يا يوم الثلاثاء

ويصف شاعر الرومانسية الكبير إبراهيم ناجى هيامة بمى فى قوله :

أحببت مية حبا لايعادلة
حب وأفنيت فيها العمر أجمعة
قد مر من دونها ما كنت أقطعة

لقد أثرت مى زيادة الحياة الفكرية والثقافية والأدبية من خلال اللقاء الثقافى الكبير الذى يعد أهم صالون أدبى عرفة الوطن العربى خلال القرن العشرين كما أثرتها بما قدمت من مؤلفات قيمة تناولت وتوزعت بتنوع ينابيع ثقافتها حيث تناولت الفن بعامة فى « المد والجزر» وتحدثت فى « الصحائف » عن شخصيات عرفتها ونادت فى المساواة بتحقيق العدالة والمساواة بين الرجال والنساء وكتبت أيضاً » باحثة البادية » «وردة اليازجى » «الرسائل » «ظلمات وإشعاع » «ابتسامات ودموع » ورواية «رجوع الموجة ».

ولم تكن مي تقتصر موهبتها على كتابة المقالة التي أثبتت بها جدارتها بحق في زمن كان كاتب المقالة في مصر عمالقة الأدب العربي كالعقاد والمازني وطه حسين بل نظمت الشعر بالفرنسية ونشرت قصتين «الحب في المدرسة» و«الشمعة تحترق» وقيل أنها كتبت المسرحية ورسائلها إلى جبران والعقاد والأب العلامة أنستاس الكرملي واستاذها أحمد لطفي السيد والشاعر أحمد الصافي النجفي وغيرهم تعد

بالمئات وتملأ مجلدات وهي قطع في الأدب واللغة والشعر والسياسة منها «رجوع الموجة - الحب العذري - ظلمات بائعة بين المد والجزر - باحثة البادية - سوانح فتاة - كلمات وإشارات» وهي خطيبة في وقت كان خطباء مصر زعماء الحركة الوطنية أمثال سعد زغلول ومكرم عبيد ويشهد لها مقدرتها الخطابية الدكتور طه حسين إذ يصف أول لقاء له بها وكان حفل تكريم «مطران» فلم يعجبه إلا صوتها الذي كان لايبلغ السمع كما قال: حتى ينفذ منه في خفة إلى القلب فيفعل فيه الأفاعيل وهي ايضا محاضرة يغبطها على قدرتها في استعراض أفكارها وتسلسلها ودقة وبساطة ووضوح كلماتها الكثير من الأساتذة وجمعت محاضراتها في كتاب «كلمات واشارات» وكانت آخر محاضرتاتها عام ١٩٣٩ بعنوان «رسالة الأديب للحياة العربية » .

وهي محدثة لبقة تجيد الإنصات وتقول آرائها بشجاعة وقوة حجة ولطافة فهي المحاورة الرئيسة في صالونها الأدبي الذي يعقد يوم الثلاثاء من كل أسبوع واستمر يعقد زهاء عشرين عاما يحضره خيرة الأساتذة والأدباء والشعراء يومذاك أمثال أستاذ أحمد لطفي السيد والدكتور طه حسين والشيخ مصطفى عبدالرزاق والعقاد وسلامة موسى وشبلي شميل وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وإسماعيل صبري وغيرهم ومن النساء : ملك حنفي ناصف وهدى شعراوي وإحسان قوصي ونظلة الحكيم وغيرهن كما شهد ندوتها الكثير من العرب مثل علامة الشام الأمير مصطفى الشهابي والأساتذة أمين الريحاني أمين معلوف وانطوان الجميل وشاعر القطرين مصر والشام خليل مطران وغيرهم.

ولم يكن صالون مي بدعة ابتدعتها بل هناك من عاصرها وسبقها في ذلك ففي دمشق أقامت ماري عجمي مجلسا أدبيا في دارها وفي حلب لم تتحرج مريانا مراش في إنشاء حلقة أدبية في بيتها وللأميرة المصرية نظلة في ندوتها الأدبية إلا أنّ ندوة مي

أضفت عليها من حلاوتها وصفاء نفسها وتألق نبوغها ووسامتها وتحضرها وسحر ولطف حديثها الكثير فمثلا تقول للدكتور شبلي شميل وهي تحاوره عن نظرية التطور التي نقلها للعربية.

عجبت أنْ رأيتك كافرا بالله مؤمنا بداروين فيضحك الشيخ «شبلي» لحوارها وتقول «مي» لـ «طه حسين» عندما طلب موعدًا للّقاء إذا كنت قسيسا فلا بأس بلقائك فضحك الدكتور وقال:

- عزيزتي مي يؤسفني أن لا أكون قسيسا !!

فأجابت مي :

- ولماذا لاتكون قسيساً ؟!

وضحك طه حسين ثانية وقال لها :

- إنك تطلبين المستحيل !!

وربما بهذا الحوار عاد الدكتور «طه حسين» بذكرياته للأيام التي كان فيها طالبا أزهريا يرتدي الجبة والعمة لهذا يقول الأستاذ سلامة موسى: لم تكن مي جميلة ولكنها كانت حلوة عاشت عمرها قبل ميعادها بخمسين سنة !

ولم يقتصر نشاط «مي» على الثقافة فحسب بل كانت من حملة المبادئ التي لابد من النضال لترسيخها وتجسيدها والدفاع عنها فهي امرأة عربية مثقفة أدركت رسالتها وواجبها في عصرها لهذا نجدها تدعو بكتاباتها وخطبها ومحاضراتها لحرية المرأة في نيل حقوقها الإنسانية ولحرية مصر فساهمت في ثورة ١٩١٩ وبالتظاهر والخطابة وحرية المرأة والرأي والوطن هي انطلاقة في الإبداع والحياة ومثلما وجدت الوطنية طريقها إلى قلب وعقل «مي».. وجدت القومية والإنسانية سبيلها إلى قلبها وعقلها أيضا.. فهي فلسطينية المولد ولبنانية الأصل ومصرية المنشأ لذا غالت في حب العربية وتهكمت على

دعاة العامية متحشمة في ملبسها وزينتها وتقدم في ندوتها فنجانين من القهوة على الطريقة البدوية وتشيد بحضارة الرق وقيمها وكتابها «المساواة» هو دراسة في الاشتراكية تختمها بالجزم عام ١٩٢٣ بكلمة بل «بصرخة» الغد للاشتراكية وفي حديث لها مع «سلامة موسى» نشر في مجلة الهلال عام ١٩٢٨ قالت لعل معرفتي بتسع لغات قد زادت في حدود وطنيتي وجعلتني انظر الى العالم كأنه وطني الأكبر.

لهذا كله كتب عن «مي» عشرات الكتب والدراسات ومئات المقالات كما نظمت بحقها عشرات القصائد فاذا كان المتنبي مالئ وشاغل الناس فهي مالئة الدنيا وشاغلة الناس فمن الذين كتبوا عنها «الدكتور طه حسين والعقاد وسلامة موسى وأمين الريحاني وأحمد حسن الزيات ومارون عبود وداود سكاكيني».. وغيرهم كثر.

وآنسة بكل هذه المؤهلات لابد أن تستهوي العديد من الذين عرفوها إلا أنها أُعجبت بأدب «جبران خليل جبران» فكتبت له رسالة عام ١٩١٢ عبرت فيها عن إعجابها بمواهبه وأسلوبه ولم تتحرج من تعريفه باسمها وأصلها وما نشر لها ويومها كانت في بداية الطريق و«جبران» في قمة شهرته إلا أنّه لم يهمل الإجابة على رسالتها بل شكر لها ثناء على أدبه ثم حدثها عن نفسه واستمرت الرسائل بينهم لتكون صداقة ادبية سرعان ما تطورت إلى أنْ تقع في هواه ومن بعيد وتؤثره على الكثير وهم قريبون منها وقد قيل الكثير في حب جبران لـ«مي» وعلاقته بغيرها حتى سماه بعضهم الحب العظيم إلى الحب الملهم المتسامي عام ١٩٣٠

**مرضها**

كان لوفاة والد مي عام ١٩٢٩ ثم وفاة حبيبها الروحي جبران خليل جبران عام١٩٣١ وأخيراً وفاة والدتها عام ١٩٣٢ أثرٌ في تردي صحتها النفسية والجسدية فاعتزلت الناس وتوقفت عن الكتابة .

فآثرت «مي» العزلة وتجافت عن لقاء الصدقاء والمعارف بل حتى المرأة «هيام المرأة الاول» هجرتها واصبحت لاتريد ان ترى وجهها المحزون إلا أنه استمرت في القراءة والكتابة حتى عام ١٩٣٥ فنشرت سلسلة من المقالات عن أدباء الغرب المعاصرين كما نشرت قصة «الشمعة تحترق» ونشرت أيضا قصيدة وجدانية بالفرنسية بعنوان «ارتياب» وفي هذه الفترة ظهرت مقالتها فضل المرأة على الحضارة الإنسانية وهي محاضرة القتها في الجامعة الأمريكية في القاهرة وكان الدكتور طه حسين في طليعة المستمعين لهذه المحاضرة فاحب أن يخالف رأيها في فضل المرأة على الحضارة الإنسانية زاعما أن الحضارة نفسها هي صاحبة الفضل على المرأة والرجل كما نشرت مقالة «كلمات في صداقة» وفي ظل ظروفها هذه استطاع أحد أقاربها أنْ يفرض نفسه عليها وكيلا على أموالها وبعد ذلك عاد بها الى لبنان لتغيير الهواء كما ادعى على أمل العودة بعد أسبوع إلى القاهرة إلا أنَّ هذا الأسبوع امتد لأكثر من شهرين وعلى بغض منها لينقلها عنوة إلى العصفورية وهي مصحة للأمراض النفسية والعقلية على مقربة من بيروت ويحجز مالها وينهب دارها كانت مؤامرة وحشية قذرة لاغتيال أديبة العصر ومن رائدات النهضة الحديثة طمعا بمالها ليس إلا !! وبتدخل بعض الأصدقاء نقلت «مية» إلى مستشفى خاص وبعد عامين من هذه المحنة خرجت لتسكن بيتا ريفيا صغير في رأس بيروت إلا أنها ظلت تعاني من مشكلة الحجر القضائي الذي فرض عليها وبحصولها على تقرير من كبير الأطباء في ذلك الحين الجنرال «مارتان» يؤكد فيه أنها سليمة الفكر والإحساس وأنَّ الذي تشكوه لم يكن إلا ظلما وقع عليها واي ظلم هذا وممن كان؟! فعادت الى مصر بمعاونة بعض الأصدقاء فأجرت منزلا صغيرا وكتبت بعض الرسائل للأوفياء الذين وقفوا إلى جانبها في محنتها ولم تنقطع عن المطالعة وحدثت زوارها عن كتاب اسمته «ليالي العصفورية» ولكن زوارها قل عددهم وأخذ يتناقص فمزقتها الوحدة والكآبة ثم

عصفت بها اللوعة والفجيعة بوفاة الأديب «فيلكس فارس وأمين الريحاني» وهما من خير من وقف إلى جانبها في محنتها فأخذت تحتضر ببطء.

نعم .. لقد تفاقمت أحوالها إلى أن انهارت نفسياً وجسدياً وخلال صيف عام ١٩٣٢ قررت السفر إلى أوربا من أجل الترويح عن النفس ولكنها رجعت إلى مصر دون أن تظفر بطائل فأرسلت رسالة إلى أقاربها في لبنان تبدي فيها رغبتها بالرجوع إلى وطنها الأم وفي مطلع عام ١٩٣٦ حضر ابن عمها «د. جوزيف زيادة» إلى القاهرة ووجدها هزيلة الجسم ومنعزلة عن الناس وأقنعها بالذهاب إلى لبنان بعد أن أخذ منها توكيلاً عامّاً لإدارة ممتلكاتها ووصلت بيروت في شهر آذار١٩٣٦ وطمع أبناء عمومتها في ممتلكات ابنة عمهم «مي» ومن أجل الحصول على ثروتها الكبيرة قرروا اتهامها بالجنون وإدخالها مشفى الأمراض العقلية المعروف بـ«العصفورية» القريبة من بيروت وفي هذا المشفى تعرضت ماري لشتى أنواع العذاب والحرمان فقررت الإضراب عن الطعام إذا لم تُنقل إلى مشفى طبي آخر واعتلت صحتها وأصبح وزنها حوالي ٢٨ كغ فرضخ الأطباء المسؤولون عندها وقرروا نقلها إلى مستشفى د. نقولا ربيز في آذار ١٩٣٧ في بيروت وهناك عولجت من قبل الأطباء فتحسنت صحتها وأثناء وجودها في تلك المستشفى جيء بمريضة من «آل الجزائري» من دمشق وبعد إجراء عملية جراحية لها وضعت في غرفة ملاصقة لغرفة مي وأثناء الليل سمعت «مي» أصوات أنين وصراخ فانسلّت إلى غرفة جارتها الدمشقية فواستها وخففت عنها وأصبحت رفيقة دائمة لتلك المريضة وبعد شفائها شكرتها وأرادت المريضة الاستفسار عن حالة «مي» فقصّت عليها «مي» ماعانته في مشفى العصفورية وما صدر من أقربائها فحزنت عليها السيدة «الجزائري» وقررت مساعدتها.

■ ■ ■

# فارس الخوري ومحنة مي زيادة

وقبل أن نتحدث عن مساعدة فارس الخوري لمي زيادة لتتخطى محنتها نستعرض فيما يلي نبذة مختصرة لسيرته: فهو فارس بن يعقوب الخوري «١٨٧٧-١٩٦٢» من رجال السياسة والأدب والقانون والاقتصاد ومن أبرز رجال الحركة الوطنية السورية بدأ حياته العملية مدرساً للرياضيات في لبنان ودمشق وعمل مترجماً لدى القنصلية الانكليزية بدمشق ودرس القانون بمفرده ثم انتخب نائباً في مجلس «المبعوثان» وعند تشكيل الحكومة العربية بزعامة الأمير فيصل عين وزيراً للمالية وبعد احتلال الفرنسيين لدمشق عاد لمزاولة مهنة المحاماة وأسس أول نقابة للمحامين وانتخب رئيساً لها ثم عين أستاذاً في معهد الحقوق وشارك في الانتخابات النيابية عام ١٩٣٦ وفاز بمقعد نيابي ثم انتخبه الأعضاء رئيسا لمجلس النواب وقد كلف الخوري بتشكيل الوزارة أربع مرات «١٩٤٤-١٩٥٥» ومثّل سورية في المحافل الدولية وفي عام ١٩٥٥ اعتزل الحياة السياسية ثم أقعده المرض حتى وفاته عام ١٩٦٢.

ما إن علم الناس بمحنة مي زيادة حتى توافدوا إليها يواسونها ويعرضون عليها مساعدتهم وخاصة معارفها آل الجزائري والأيوبي من دمشق ومن رجال الأدب والفكر والسياسة وكان منهم فارس الخوري «رئيس المجلس النيابي السوري» آنذاك وزوجته أسماء عيد الخوري وبعد زيارة قام بها فارس الخوري للأديبة مي زيادة حضر مندوب أكبر صحيفة يومية لبنانية ونقل تصريحاً لفارس الخوري يصف فيه حالة «مي» ومما جاء فيه:

«يمكنني أن أقول بكل صراحة إنني تحدثت إلى أناس كثيرين في بيروت فلم أرَ

فيهم مَن هو أعقل من الآنسة «مي» وأزيد على ذلك أنني سمعت من بعضهم أخطاءً لم تفه «مي» بواحدة منها فهي بحالة عقلية تامة ولكن صحتها الجسدية ضعيفة جداً. ومما قالته لي والألم ينبعث من عينيها: تصوَّر مي زيادة على بعد عشرين دقيقة من بيروت قلب الشرق العربي وعاصمة لبنان الجميل الخالد ومهد الحضارة والنور وأم الجامعات والمؤسسات العلمية ودار الجمعيات الأدبية والخيرية ومركز جمعية النهضة النسائية أجل تصوَّر «مي» سجينة على بعد عشرين دقيقة من البلد الذي ذكرت».

وأثناء تلك الزيارة تلتفت مي زيادة إلى زوجة فارس الخوري لتقول لها: «أهذا ما كنت أنتظره يا سيدتي؟ أهذه هي المكافأة التي أعدتها لي المرأة الشرقية بعد جهاد طويل؟ أهذا ما تلقاه الأديبة في الشرق ؟»».

■ ■ ■

# فارس الخوري يعرض حالة مي أمام المجلس

لم يكتف فارس الخوري بالإدلاء بتصريحات إلى الصحافة اللبنانية بل ذهب إلى ندوة المجلس النيابي اللبناني واجتمع بعدد من أعضاء المجلس المذكور تحدث فارس الخوري عن زيارته لمي زيادة وعن معاناتها نتيجة اتهامها بالجنون والجور الذي حاق بها من أقرب الناس إليها ومعاملتهم السيئة لها وقد نشرت جريدة بيروت في عددها الصادر بتاريخ ١٢ شباط ١٩٣٨ حديث فارس الخوري أمام أعضاء المجلس ومما جاء فيه: كيف لا تهتمون بهذه النابغة اللبنانية؟ وكيف تسجن «مي» بين جدران مستشفى المجانين ولا يثور الرأي العام اللبناني ويظل هذا الخبر سراً مكتوماً؟ لقد كان حديثها لي حلواً لا إبهام فيه ولا تعقيد لقد وجدت فيها «مي» الكاتبة الشاعرة التي عرفناها في الماضي فكيف دُبّرت هذه المؤامرة الدنيئة على نابغة النابغات؟ أنقذوا مي وابذلوا جهدكم في الترفيه عنها وحرام أن تعامل الأنوثة التامة والنبوغ والعبقرية هذه المعاملة التي عوملت بها - مي -.

كان للتصريحات التي أدلى بها الزعيم فارس الخوري للصحافة اللبنانية ومقابلته لبعض أعضاء المجلس النيابي صدى لدى الرأي العام اللبناني فسارع عدد كبير من الزعماء السياسيين والأدباء للدفاع عنها كان منهم: انطون سعادة وأمين الريحاني وقد تطوع الوزير السابق المحامي حبيب أبي شهلا للدفاع عنها أمام المحاكم اللبنانية واستطاع إعادة حقوق مي زيادة المغتصبة وقد شُكلت هيئة طبية قررت بأن حالة «مي» جيدة وأنها بحاجة إلى راحة جسدية.

■ ■ ■

## النهاية .. وعودتها إلى مصر .. الوفاة بلا وفاء !!

عادت مي زيادة إلى مصر متعبة ومهيضة الجناح ومعتلة الصحة .. وكان يمكن لهذه الأديبة أن تستمر اشعاعاً متألقاً فى سماء الفكر والأدب لو لم يطمع أقاربها فى ثروتها ويغدروا بها اذ استطاعوا بالحيلة والغدر أن يودعوها فى مستشفى الأمراض النفسية « بالعصفورية» فى لبنان حيث أمضت سنوات من العزلة والمعاناة وحين تمكنت من الهرب والخروج من المستشفى والعودة إلى مصر كانت قد تحولت إلى شئ أخر إذ انطفأ فى داخلها بريق الحياة وغرقت فى بحور الكآبة والضياع وانعزلت عن الناس جميعاً .

وفي ليلة السبت ١٨ تشرين الأول (أكتوبر) أصيبت بخفقان وضيق في التنفس وتوفيت في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي الأحد ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٤١ فى مصحة بالمعادى .. ولم يعرف خبر وفاتها إلا قلة من معارفها ولم يمش في جنازتها إلا أفراد قلائل منهم خليل مطران وأنطون جميل وأحمد لطفي السيد وبعد التشييع دفنت إلى جانب قبر والديها وهكذا ذبلت تلك الوردة التي انتشر أريجها كنسمة الربيع في سماء الأدب العربي ومكثت ذكرى حياتها الحزينة مأساة يرتاع لها الضمير ويلتاع بها القلب .

فأين نجوم صالونها من جنازتها ؟!

وأين من زرفوا فيها قصائد الحب ورسائل المديح وبحور المشاعر ؟!

هل كانوا كذبة ؟! وأين الوفاء لمي زيادة ؟!

والآن ..

مَنْ هُم أشهر نجوم صالون رحلة غرام مي زيادة ؟!